

عباس حلمى الثانى

سنة ١٩٠٣

بينى وبين حسن عاصم باشا . رسائل رشيد بك عن سياسة المابين . تذمر مختار باشا من الخديو . فوضى الرتب . اخفاق مؤامرة فى مصر لخلع عبد الحميد . رحلة الخديو الى الاستانة وأوربا . زيارته غير الرسمية للندرة والتفاهم بينه والانجليز . عباس فى ديفون الاستشفاء . مراعتى فى طاشوز . العودة الى الاستانة . العود الى مصر . الشيخ على يوسف فى لندرة وباريس . هدية الخديو للملجأ اللقطاء . الزبرجد فى البحر الأحمر . شقيقة ملك الانجليز فى مصر وكبار الزوار الاجانب . افتتاح دار الآثار المصرية . مسألة صندوق التوفير .

بينى وبين حسن عاصم باشا . لما أحيل محمود فهمى باشا رئيس الديوان العربى إلى المعاش ، وخلفه حسن عاصم باشا ، أراد أن يسيطر على جميع الأقلام العربية والأفرنجية والتركية ؛ وكان يصدر أوامره إلى الموظفين الذين هم تحت رياستى مباشرة ؛ فاستأت للاعتداء على اختصاصى . . وصارحته بذلك ، طالباً منه استصدار أمر بهذه السلطة ؛ إذ أننى لو فرطت فى حقوقى التى منحنى إياها الخديو ، وهى الاستقلال فى عملى ، والتوقيع على كل ما يصدر من المعية باللغة الفرنسية ، كنت مقصراً فى الواجبات الملقاة على عاتقى . ولما لم ينته الأمر بيننا إلى حل ، عرضت المسألة على الخديو ؛ وبعد أيام جاءنى دومرتينو باشا وقال لى : « إن سموه لا يحب أن تمس وظيفتك فيما يختص بالأعمال الخصوصية لسموه ؛ وأما التوقيع على ردود المكاتبات الرسمية فتكون من حسن عاصم باشا إذا كانت باسمه ؛ أو بتوقيعك إذا كانت باسمك . » وأبلغنى أن سموه قال لحسن عاصم باشا عند تعيينه . « إن شفيق وعزت قد اكتسبا شبه استقلال فى أعمالهما ، فيجب مراعاة ذلك . »

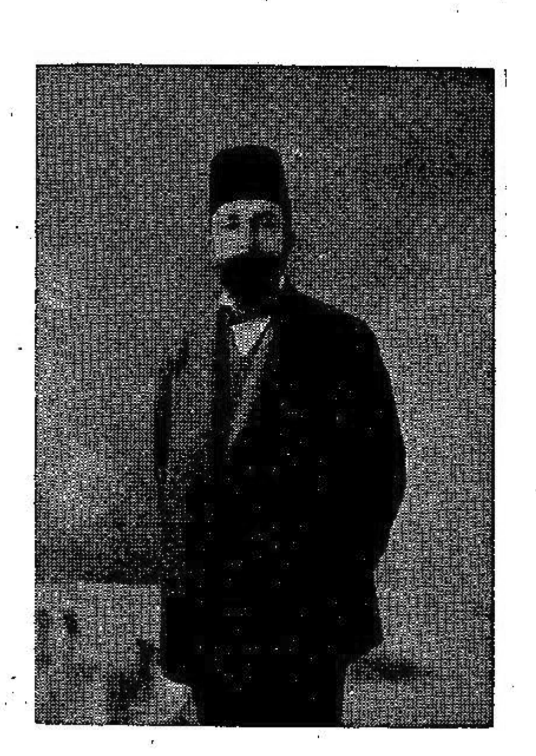
وقد تبين لى أن عاصم باشا كان يعتقد أننى غير مرتاح لتقلده رياسة الديوان الخديوى ، ويستدل على ذلك بأنى لم أهنئه ؛ ولكنى لم أتأخر عن التهنئة إلا لأعذار طارئة ، ولم يخرج الأمر عن سوء تفاهم عادى ؛ ثم تقابلنا بعد ذلك وتفاهمنا ، وسارت الأمور بيننا على وفاق ، وأصبح ميالا إلى أخذ رأيى فى الأعمال العامة ، وفى نصوص الخطب التى يلقيها الخديو فى الاحتفالات الرسمية ، وغيرها .

رسائل رشيد بك عن سياسة المابين . رشيد بك من رجال تركيا الفتاة ؛ وقد حضر لمصر ، ورحب به عباس حتى إنه وظفه فى الخاصة ، وأخيراً توسط له سموه وأعاده إلى الاستانة . وهو ينتمى إلى أحمد جلال الدين باشا « السر خفية » ؛ وقد استخدمه الخديو للوقوف على بعض المسائل من الباشا المذكور ، فوردت منه عدة رسائل فى سنة ١٩٠٢ ، تكلم فيها عن مسألة يالى جبوقلى ، وشكوى مالكه من عدم دفع السلطان ثمنه الذى اشتراه به ؛ وتكلم كذلك عن حضور البرنس حسين كامل باشا للاستانة (*) ، ونزوله ضيفاً عند احمد جلال الدين باشا ، وبأن شركة هافاس عللت سفر البرنس تعليلا قد يؤدى إلى استيائه ، وان البرنس لديه من الأسباب ما يجعله يعتقد بأن التلغراف موحى به من منير باشا ، وأن احمد جلال الدين باشا يؤكد أن سفر البرنس ليست له

(*) راجع ص (٣٦٤) من القسم الأول

أية صلة بمسألة طاشوز ؛ ويظن — رشيد بك — أن المسألة من تدبير جماعة تركيا الفتاة .

وقال مستر سندوز مدير شركة هافاس إن هذا التلغراف خطأ ، ولم يرسل إلا على سبيل الاستطلاع وجس النبض استجلاء للمعلومات المعطاة من أناس هم على صلة بمنير باشا ، وقد أدلى سندوز بكثير من المعلومات فيما يتعلق بالدسائس التى يدسها حزب أبى الهدى ؛ وقد أذاع هذا الحزب فى الأقطار الاسلامية منشوراً ضد الخديو(*) ، ووعد سندوز بالسعى للحصول على نسخة من هذا المنشور .



رشيد بك

وفى ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٢ أرسل رشيد بك يقول إنه سأل نورى باشا من رجال المابين عن مسألة تعيين شفيق بك فى منصب القبوكتخدا ، فصرح بناء على ما جاء فى تذكرة الصدارة ، بأن العرف المتبع يقضى بعدم تعيين أحد فى هذا المنصب من غير موظفى الاستانة ، وأن رشيد بك أعرب عن أسفه لذلك واطلع على الرسالة الموجهة من الصدر الأعظم إلى الخديو ، على أثر إعرابه عن رغبته فى تعيين شفيق بك ، فاذا بها تنص على أن هذا المنصب لا يمكن أن يشغله غير موظف تركى ، وأنه ترك للخديو حق اختيار الشخص الذى يريد أن يشغله . وقد جاء من رشيد بك فى ٣ فبراير بهذا الخصوص أنه لا يبعد أن يعين شفيق بك بعد أن أقيل الصدر الأعظم من منصبه وحل آخر محله ، ويعرب عن رغبته فى مخاطبة الخديو فى شأن هذا المنصب ، مبيناً لسموه أنه ليس من مصلحته تركه خالياً إلى ما شاء الله و مستصوباً إسناده إلى شفيق .

وجاء فى إحدى رسائله أيضاً أن الخاصة السلطانية باعت مناجم طاشوز إلى أحد الألمان بمبلغ سبعة عشر ألف جنيه .

(*) راجع ص (٣٦٨) من القسم الأول .

تنزل مختار باشا مع الخديو . فى فبراير أقيمت الحفلة الراقصة السنوية فى سراى عابدين فاستوقفنى الغازى أثناء الحفلة وسألنى سؤالا علمت منه أن الخديو تحدث معه بما لم يرضه عن تقرير رفع من ولده إلى المابين بخصوص الأوقاف الخديوية فأجبته بما أعلم (راجع صفحة ٤٠٩ من القسم الأول) .

فقال لى الغازى : « وإن الخديو يقول إنك رأيت هذا التقرير بعينك . » فأجبته نفيا .



محمود مختار باشا

وعقب الحفلة علمت أن الخديو اتفق مع النظار على أن يكون استقبال مختار باشا فى المقابلات بعد البرنسات ، وأن السبب فى ذلك استياء سموه من تصرف الدولة فى مسألة طاشوز، والاستقبال الفاتر الذى قوبل به فى الاستانة ؛ وأما وشاية نجل الغازى فليست بذات أهمية فى هذا القرار . وقد أخبر الغازى الدولة بذلك فأرسل فريد باشا الصدر الأعظم برقية شديدة اللهجة لعباس يطلب فيها إرجاع الغازى إلى مكانه فى التشريفات ، لأن آداب سموه لا تسمح باهانة رجل كالغازى فى العمر والمقام . وقد خشى مختار باشا أن يرد الخديو على هذا منتقداً أعماله فى مصر فتكون هذه نقطة سوداء له فى الاستانة فوسط محمود شكرى باشا فى الأمر ، فحادث الخديو فى ذلك وعلم أن سموه لا يحمل شيئاً لمختار باشا شخصياً ، ولكنه يعمل ذلك رداً على أعمال السلطان .

وقد كان المتبع أن يعطى للغازى قطار خاص عند سفره . أما فى هذا العام فقد منع ذلك ؛ ولما حان موعد سفره لقضاء فصل الصيف بالاسكندرية وعرف أن النية متجهة إلى حرمانه من القطار الخاص ، وسط محمود شكرى باشا فى الأمر فسمح الخديو بذلك على شرط أن يستأذن المعية ففعل .

وكان المظنون أن العلاقات تعود كما كانت ، ولكن لما سافر الخديو بعد ذلك بأيام إلى الاسكندرية ، لم يكن الغازى بين مستقبليه كعادته ، وقد أثار عمله هذا استياءاً فى السراى ولوماً من هيئة القناصل ، فخشى الغازى عاقبة ذلك وأرسل مصطفى كامل بك ليتوسط فى الصلح ، وقد أرسلنى عباس مع عزت بك إلى بطرس غالى باشا ناظر الخارجية

لأخذ رأيه فى الموضوع ، فكان من رأيه أنه لا مانع من استقبال الغازى إذا حضر بنفسه ، ولكن لاداعى إلى دعوته .

وقال لى مصطفى كامل بك عقب مقابلة له مع الخديو والغازى : « إن الغازى سيكتب برقية مطولة بالشفرة يقول فيها للسلطان ها هو ذا الخديو لم يشأ التوجه إلى انجلترا ، قبل أن يقدم فرائض العبودية لجلالته ويطلب منه أن يحسن استقباله » وكان الغازى يرمى بهذا المسعى إلى إرجاع امتيازاته . وانتهت المسألة بصلح ظاهرى ؛ غير أن هذه الامتيازات لم ترجع إلى ما كانت عليه .

فوضى الرتب . كانت مسألة الرتب منذ حين موضعاً للمساعى والمساومات المختلفة ؛ وقد لوحظ هذا العام أن المسألة بلغت حداً عظيما من الفوضى ، وأن الرتب أصبحت كالسلع السهلة ؛ وكان لهذه التجارة وسطاء كثيرون : منهم الشيخ على يوسف وحسين بك زكى وأحمد بك العريس وابراهيم بك المويلحى ومصطفى الحصرى — وهو مقيم بالاستانة ويأتى كل شتاء لأخذ بضاعة من مصر — وأحمد شوقى بك الشاعر ومصطفى كامل الذى كان ينفق ما يأخذه فى الدعاية لقضية مصر ؛ وكان لكل رتبة سعر مخصوص يدفعه الطالب ، فالرتبة الثالثة يدفع عنها ٢٥٠ جنيهاً والثالثة مع لقب بك ٣٠٠ جنيه والثانية ٤٠٠ جنيه والمتمايز ٥٠٠ جنيه .



احمد شوقى بك

وكثيراً ما كان يعتدى بعض الوسطاء على بعض ، ويختلس البعض ثمرة جهود الآخر . ولقد جاءتنى عدة رسائل من احمد شوقى بك يشكو فيها الشيخ على يوسف وحسن بكرى بك ، وقد أفهما أحد الذين أنعم عليهم بواسطته أن هذه الرتبة لم تكن إلا بمجهود الشيخ على يوسف !

ولما كثر الانتقاد على ذلك حتى من رجال المعية ؛ مثل احمد خيرى باشا وعزت بك وغيرهما ؛ ونظراً لما كان بينى وبين بطرس غالى باشا من صداقة فقد تحادثت معه بصفة

خاصة فى إحدى زياراتى له ، وأشرت إلى بعض المسائل التى تؤخذ على الخديو ، وفى مقدمتها مسألة الرتب ، وأن الواجب على النظار أن يبذلوا النصح لسموه باخلاص فى ذلك ، فقال بطرس باشا : « ولكن المحيطين بالخديو هم الذين يزينون له ذلك . » فقلت له : « إن هؤلاء يعملون ذلك لمصالحهم الشخصية ، وإن الواجب ألا يترك المخلصون للخديو من أمثالكم هذه المسألة حتى يستفحل أمرها . » ولما لم يقم بطرس باشا بسعى فى ذلك السبيل تشجعت وعزمت على أن أقوم به بنفسى ؛ وفاتحت سموه فى مسألة الرتب ، فأجابنى قائلا : « ياشيخ أنا عارف ما أفعله فليس لأحد فى المعية ولاغيرها دخل ؛ وأنا لى فئة خاصة يبحثون على مستحق الرتب ويعرضون علىّ بعضاً منهم وأنا أمنحهم !! »

ولما تفاقم الأمر أصبحنا نخشى أن يتدخل الانجليز فينتهزوا فرصة منح رتبة لشخص محكوم عليه فى تزوير أو غيره — كما حدث ذلك — ويشهروا بالخديو ؛ ولولا حسن التفاهم القائم الآن بينه وبين الانجليز لما تأخروا عن ذلك ، ومن الحوادث التى تدل على استفحال هذه الفوضى أنه أريد مرة إعطاء رتبة لعمدة ؛ وبما أنه معتبر موظفاً فى الحكومة ولا تعطى له الرتبة إلا بطلب منها ، وهذا ما يتعذر وقوعه ، فقد أوعز إليه بأن يستعفى ، وأوعز لمأمور المركز أن يؤخر إرسال استعفائه للمديرية بضعة أيام ، منح فى خلالها الرتبة ثم استرد استعفاءه !!!

اتفاق مؤامرة فى مصر لخلع عبد الحميد . فى ٧ يوليو سنة ١٩٠٢ أثناء مأدبة فى يلدز أمر السلطان بألا يقدم الخديو مساعدة إلى اسماعيل كمال بك وزملائه من رجال تركيا الفتاة الموجودين بأوربا لأن حالتهم ساءت ، فرد الخديو بأن أحداً منهم لم يتقدم إليه بطلب مساعدة .

غير أنه فى شتاء هذا العام حضر كمال بك لمصر وقدمه عبد العزيز عزت باشا للخديو فرحب به ، وتقابلا مراراً وتكلما سوياً فى أمور تختص بالسياسة التركية ؛ ويظهر أن اسماعيل كمال أخبر سموه بوجود جمعية غرضها الحصول على خلع السلطان ، وطلب مساعدة مالية من سموه ، فأجابه إلى ذلك وأعطاه أربعة آلاف جنيه بتحويل على أحد مصارف انجلترا ، والمحول هو عبد العزيز عزت باشا . ثم إن سموه أجرى النفقة عليه مدة إقامته فى مصر .

وفى ذات يوم أرسل لى سموه ولعزت بك وعبد العزيز عزت باشا للحضور للقبة ، ولما اجتمعنا علمنا منه أن صالح بك سكرتير الداماد حضر وطلب مقابلة سموه

فلما قابله عرفه بأن الجمعية أرسلته ليعرض عليه مشروعاً لخلع السلطان دبره رجب باشا مشير الفيلق العثمانى فى طرابلس الغرب ، وقد كان بعيداً عنها . فانه اتفق مع هذه الجمعية بواسطة مندوبين أحدهما انجليزى والآخر تركى هو رشيد بك بالسفارة العثمانية بلندره، على أن ترسل له باخرة ترسو بالقرب من طرابلس بحجة تعليم العساكر يستقلها ويتوجه لمدينة طرابلس ، ثم يبحر عليها إلى الاستانة ، ويضم إلى هذا الاتفاق كبار الضباط فى جناق قلعة وفى الاستانة ومن ضمنهم قومندان قشلاق السليمية باسكدار وآخرون فى نفس يلدز . وقال صالح بك أيضاً إن صباح الدين بك النجل الأكبر للداماد مستعد للحضور لعرض التفاصيل إذا رغب الخديو ؛ وفعلا حضر لمصر متنكراً يلبس قبعة .

صباح الدين بك

ولزم الفندق فلم يخرج منه إلا قليلا حيث قابل عباساً فى سراى القبة مرتين ، وطلب من جنابه العالى إما أن يشترى أو يؤجر لهم باخرة من جيبه الخاص . فلهذا طلبنا الخديو لمعرفة رأينا وقد رأينا منه أنه يميل نوعاً لتصديق قول ابن الداماد واحتمال تنفيذ مشروع الجمعية ، ولكننا نحن الثلاثة ، اتفق رأينا على أنه لا يمكن تنفيذه لوجود صعوبات ، وربما كان صباح الدين يرمى فقط إلى اقتناص بضعة آلاف من الجنيهات من سموه ، وأن مركز سموه على أى حال يقضى عليه بالابتعاد عن فتنة كبيرة كهذه ، لأنها لو اكتشفت لكانت العاقبة شراً ، ولو شكى السلطان من سموه للدول لألحت عليه باللائمة . ومن حسن الحظ أنه اقتنع بهذا الرأى ، وصمم على الابتعاد عن هذا العمل . وفى هذه الأثناء علمنا منه أنه أحضر لمصر اسماعيل كمال ورتب له ٥٠ جنيهاً ، ولكنه لم يصرح لنا بأمر الأربعة آلاف جنيه التى تحولت له بواسطة عزيز باشا لانجلترا ، وإنما علمت ذلك من محمد بك عرفى لأن صباح الدين لما فهم عدم اهتمام الخديو بكلامه

وسط البيك المذكور ، فحضر وقابل سموه وأراد إقناعه فكلفنى الخديو أن أذهب إلى عرفى بك ، وأقول له أن يفهم ابن الداماد أن انتظاره فى مصر لا يجدى نفعاً ؛ وعندئذ عرفنى بمسألة الأربعة آلاف جنيه ، وقال : « إن اسماعيل كمال صرف منها ٢٥٠٠ جنيه ؛ وإن سموه حجز فى البنك بانجلترا ما تبقى ، وإن صباح بك يطلب رفع هذا الحجز . » وقد تقابل عرفى بك بعد ذلك مع الخديو ولا أعلم ماذا كانت النتيجة . والظاهر أن سموه ارتاب فيما بعد فى مزاعم اسماعيل كمال .

وقد علمت عند زيارتى للندره أن اسماعيل كمال تمكن من سحب مبلغ الألفى جنيه ، رغم اشتراط سموه عند الايداع أن يكون السحب باذن عبد العزيز باشا عزت . ولما ارتاب الخديو فى الأمر أمر بوقف الصرف ، وطالب بالمبلغ كله ، ولكن وجدت صعوبات دون استرداد المبلغ المسحوب وكان فى نية سموه أن يتخذ الاجراءات القضائية ضد البنك الذى قام بالدفع ، ولكنه عدل فيما بعد خشية التشهير والفضيحة .

رحلة الخديو الى الاستانة وأوربا . تقرر السفر إلى الاستانة ومنها إلى لندره ثم الذهاب لديفون والرجوع عن طريق الاستانة ؛ وقد أمر الخديو أن أكون برفقته باستمرار فى هذه الرحلة ، ماعدا المدة التى سيكون فيها بالاستانة فيكون مع سموه على عبادى باشا قومندان المحروسة وعزت بك .

وتقرر أن يرافقنا أولا زكى باشا من الاستانة إلى فينا وفيها ينضم إلينا الدكتور كاوتسكى وفى باريس دومرتينو باشا وعبد العزيز عزت باشا ومحمد ياور بك ، وأن يتوجه بروستر بك إلى لندرة قبلنا ، وأن ينزل الخديو فى لندرة ضيفاً على السير ارنست كاسل بناء على دعوته .

السفر : فغادرنا الاسكندرية يوم ٣ يونيو . وفى ٦ منه وصلنا إلى الكلازومين ومنها أرسلنا برقيات إلى مصر والاستانة بالوصول فجاء الرد من السلطان نفسه مما جعلنا نستبشر خيراً ؛ وقد بلغنا أن مصلحة الصحة بالاستانة أرسلت لرئيس المحجر الصحى فى أزمير لتحية الخديو عند وصوله ، فكان هذا الرئيس وجميع الموظفين فى خدمة سموه ؛ وكانت هذه دلائل تحسن الجو بين الخديو والسلطان .

وفى ٩ منه غادرنا مكان الحجر الصحى ، وأرسل الجناب العالى برقية بذلك للمابين والتهنئة بالمولد النبوى فجاء الرد من السلطان مباشرة أيضاً .

وقد احتفلنا نحن بليلة المولد على ظهر المحروسة ؛ وفى أثناء حديثى مع الخديو

فى مساء ذلك اليوم قال لى سموه إنه يريد حفظ حقوقه فى كل ما حصل فى السنة الماضية من الاهانات ، وكذا ماحصل فى الشتاء الماضى حتى قال إنه سيمتنع من قبول حسنى باشا لأنه يعتبره جاسوساً — مع أنه فى الحقيقة أفضل من غيره — وقال سموه أيضاً : « إن هذا السلطان سيء السريرة ، لأنى لو كنت دونت ما كان يقوله فى حق إخوته من إدمانهم على السكر (*) وخصالهم الذميمة وامتداحه لنفسه وما كان يرويه عن حريمه لكنت ملأت كتاباً » . وقال : « إننا نحن الذين أفسدنا الأمور ، فشتان بين استقبالنا فى أول زيارة واستقبالنا الآن . »

فقلت : « نعم لو كنا تباطأنا فى الزيارة على السلطان بعدها عامين أو ثلاثة لكنا حافظنا على مركزنا . » قال نعم . وانتهزت هذه الفرصة وقلت : « حقيقة إن الأتراك مقصرون ولا يخافون إلا عند المعاكسة ، فلو كان أفندينا فى الصيف الماضى بعد الاستقبال السيء الذى لقيه عند حضوره للاستانة ، زار انجلترا وقابل الملك كما سبق عرضته على أعتاب سيدى ، لكانت المقابلة عند رجوعه لدار السعادة أحسن بكثير مما وقع » فأجابنى : « كان السلطان يعتبر زيارتى لانجلترا نكاية به . » فقلت : « حقيقة إن أفندينا يراعى خاطر جلالته فوق اللازم . »

وفى ١٠ يونيو وصلنا الدردنيل ، فلاحظنا أن العساكر العثمانية والطوابى تؤدى التحية بمجرد ظهور اليخت بدون أن يرفع العلم .

الخديو فى الاستانة : وعند الوصول إلى جناق قلعة شاهدنا نفس الاهتمام والاستقبال ؛ ثم واصلنا السير حتى وصلنا الاستانة فى صباح اليوم التالى . وكان فى الاستقبال المشير شاكر باشا وحسنى باشا فابلغا الخديو تحية السلطان ، وحضر الترجمان الأول لسفارة انجلترا بالنيابة عن السفير . ثم توجهنا إلى يلدز حيث استقبل سموه ابراهيم بك السرتشريفاتى ونورى باشا المابينجى الأول ؛ وبعد الاستراحة قليلا تناولنا الغداء وقد كان الخديو معتزما رفض الأكل إذا كان مع غير السلطان ، ولكنه غير فكرته لما لقيه من مظاهر الترحيب . ثم دعى سموه لمقابلة السلطان ومكث بحضرته نحو ثلثى الساعة .

وبعد خروجه استدعانا السلطان فمثلت بين يديه مع زكى باشا وعزت بك فخاطبنا

(*) وبهذه المناسبة أقول عن علم أن هدايا الخليفة لأخيه مراد السلطان المعزول الذى كان معتقلا فى سراى جراغان ، كانت عبارة عن مشروبات روحية من أجود الأصناف وغرضه من ذلك أن ينغمس فى السكر باستمرار .

معرباً عن سروره بمقدم الجناب الخديوى ، وتمتعنا جميعاً بالصحة ؛ وكان يتحدث بصوت خافت ويرتدى معطفاً يغمر وجهه .

وقد علمنا أن الحديث بين عباس وعبد الحميد دار عن سياحة سموه ثم عن تعدد الزوجات وعدم استحسان جلالته له ، وكانت هناك مسألة شراء يالى جبوقلى من طرف السلطان وإهدائه للخديو ، فاعتذر الخليفة لسموه عن عدم إتمام الصفقة لتشدد أصحاب اليالى .

ولما انصرفنا توجهنا إلى بيك لتحية الوالدة ، وما كدنا نستقر حتى حضر شاكر باشا ، وعرض على الخديو كتاباً من الصدارة بأنها لم تتمكن نهائياً من شراء يالى جبوقلى وأن الصدر يرى إخلاءه ؛ فقال الخديو لا بأس ، وأراد عزت بك أن يعترض فقال له شاكر باشا : « إن الواجب تنفيذ أوامر الجناب العالى . » وعلى أثر انصراف شاكر باشا ، استدعانا سموه وهو فى كدر شديد ، وتباحثنا فى الموضوع ثم استقر الرأى على مفاوضة أصحاب اليالى ، ومنهم أمر الله بك التابع لدولة الروسيا ، فى استئجاره على حساب الخديو . وبعد مفاوضات كثيرة اتفقنا معهم على ذلك ودفعنا الأجرة ، وأبلغنا أمر الاتفاق للسراى ؛ وفى الوقت ذاته استأذن الخديو للسفر يوم ١٦ منه ، ولما عرض الأمر على السلطان أمر برد الأجرة التى دفعناها وطلب تأخير السفر . وقد حصل تزاور بين الخديو والسفراء كالمعتاد بين يومى ١١ و١٣ يونيو .

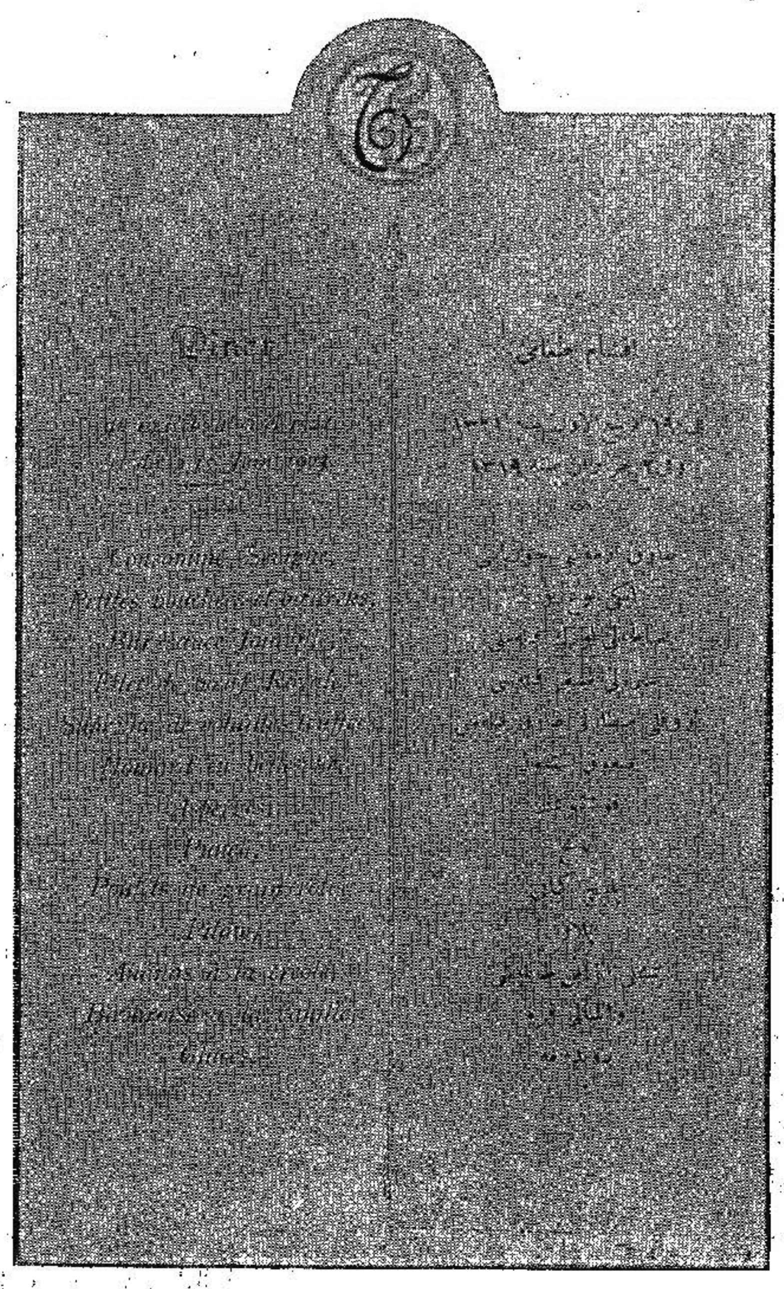
مأدبة بقصر يلدز : وفى ١٤ منه دعا جلالة السلطان سموه إلى مأدبة عشاء رسمية تقام فى الغد للوداع .

وفى ١٥ يونيو ذهبنا إلى السراى وصعدنا إلى كشك شاليه ، فوجدنا هناك الصدر والوكلاء ورجال معية السلطان ؛ وبعد قليل طلب الخديو لمقابلة جلالته فدخل ثم جاء الطلب لنا ، وأخبرنا بكراسينا المخصصة لنا ، فدخلنا إلى غرفة المائدة وجلسنا بعد قدوم السلطان ، يصحبه الخديو والصدر فريد باشا . وكانت المائدة



فريد باشا

مستطيلة وقد جلس السلطان وعن يمينه الخديو وعن يساره الصدر ويقابلهم ثلاثة من أنجال السلطان . وبعد الطعام ، خرج السلطان والخديو والصدر ، وجلسوا فى غرفة على حدة ؛ وجلسنا نحن فى صالون كبير . وقد حضر الصدر أثناء استراحتنا فلاطفنا كثيراً ، ومما لاحظته أن بقية النظار لا يحفلون به ، وعند الخروج ودع عباساً إلى آخر درجات السلم ؛ وقد أبدى سموه سروره من الترتيب فى هذه المأدبة وحفاوة السلطان به ، وعناية الصدر براحته ، وإن كان قد أبدى رأيه فيه بأنه رجل لا يليق لمنصب الصدارة .



قائمة الطعام فى مأدبة قصر يلدز

سفر الخديو إلى فينا : وفى ١٦ يونيو جاء شاكر باشا لوداع الخديو من قبل السلطان ؛ وكان السفر قد تقرر على الوابور الرومانى . ولما وصلنا إلى ميناء قسطنجة ، كان فى الانتظار محافظ البلد فتقدم للجناب الخديوى مرحباً ؛ وكذلك عدد عظيم من الأهالى المسلمين . ثم نزلنا جميعاً بين صفين من البوليس حتى وصلنا للقطار الذى تحرك بعد منتصف الليل إلى بخارست فوصلها فى الصباح ؛ وقد حضر مندوبون عن الحكومة الرومانية لتحية سموه ولكنه كان نائماً فاعتذرت لهم ، وشكرتهم حسب تعليمات سموه لى منذ أمس .

وفى ١٨ منه وصلنا إلى فينا ونزلنا بفندق أمبريال وقد زار سموه وزير الخارجية ثم الماركيز دى رفرسو سفير فرنسا بفينا .

السفر إلى باريس : وأمضينا فى فينا يومين ثم سافرنا إلى باريس فوصلناها صباح ٢١ منه . وكان بانتظارنا محمد ياور بك . وقد حضر السفير العثمانى منير باشا للسلام على الخديو فرد له سموه الزيارة .

زيارته غير الرسمية للندره والتفاهم بينه والانجليز . كان الخديو قد عزم منذ العام الماضى على زيارة لندرة ولحضور حفلة زواج السير الدون جورست التى ستكون يوم ٢٥ يونيو .


اللورد أرثر بلفور

فنى ٢٤ يونيو تقرر أن أسافر مع ياور بك ومعنا الخدم إلى لندره ولما وصلنا إلى محطتها جاء دومرتينو باشا وبروستر بك ، ثم أبرقنا للخديو بتمام الاستعداد للمقابلة ؛ ولما وصل سموه فى نفس اليوم إلى محطة «شارنج كروس» كان فى استقباله السير كوندى استيفن نائباً عن جلالة الملك وحاملا سلامه ، وقد تعين مهمنداراً للخديو ، والسير بارنجتون نائباً عن وزير الخارجية ،

والسير أرنست كاسل والسير الدون جورست ، والمستر ماتشل مستشار الداخلية المصرية ، واسكندر فهمى باشا العضو الوطنى بمصلحة السكك الحديدية المصرية . وبعد أن صافحهم ركب سموه مع مضيفه السير كاسل إلى منزله الذى أعد لنزولنا .

وفى اليوم التالى توافد الكثيرون من الكبراء ورجال المعية الملكية للسلام ، فقيدوا أسماءهم ، وحضر مندوب من قبل اللورد أرثر بلفور رئيس الوزارة يدعو سموه إلى مأدبة عشاء ، ثم حضر اللورد نفسه للتحية ، ثم السفراء إذ أن الخديو يعامل فى لندره كأمير مستقل ، فيحضر السفراء أولا للسلام عليه ، ثم يرد لهم الزيارة ، بخلاف الزيارات فى الآستانة .

فى قصر بكنجهام : وعند الساعة الثالثة جاءت عربة ملكية ركبها الخديو يرافقه السير كوندى استيفن ودومرتينو باشا ، إلى سراى بكنجهام حيث استقبلهم الملك والملكة وكريمتهما الكبرى ، وكانت المقابلة عائلية لأن سموه كان فى هذه الزيارة بصفة غير رسمية .

الخديو يشهد الاحتفال بزواج جورست : وفى ٢٥ منه خرج سموه تواً إلى منزل عروس السير الدون جورست الذى احتفل بقرانه فى هذا اليوم ؛ وقد ذهبت مع عبد العزيز عزت باشا ورياور بك ، فحضرت الاحتفال فى الوقت الذى جاء فيه الجناب العالى ؛ وكان المنزل غاصاً بكثير من المدعوين وبينهم وزير الخارجية وكانت الهدايا التى وردت للعروس مرتبة فى غرفة كبيرة ، ومن بينها هدية الخديو وهى قرط وأساور وعقد وخاتم كلها من الزبرجد المحلى بالماس ، وكانت أثمن هدية قدمت للعروس . وقد أخذت صورة لسموه بين العروسين فى حديقة المنزل . وعند رجوعنا بعد الحفلة ، وجدنا بطاقات لجلالة الملك والبرنس دوجال والدوق أوف كنوت وبعض الأمراء .

حفلة الاستعراض بمناسبة عيد جلوس الملك : وفى صباح ٢٦ منه اشتد الزحام فى منزل السير كاسل الذى نزل به الخديو ، ووفد كثيرون من كبار الانجليز من الأعيان والموظفين الذين كانوا بمصر ومارشالات مثل روبرتس وجنرالات وغيرهم لا ينقطع سيلهم ، وقد قابل الخديو بعضهم كما قابل السيد محمد توفيق البكرى والشيخ على يوسف وكانا قد وصلا إلى لوندره فى اليوم السابق .

وعندما كان الخديو مع جلالة الملك أمس ، دعا سموه لحضور حفلة استعراض

عسكرى لمناسبة عيد جلوسه (*) فى هذا اليوم ، فبعد انتهاء الزيارات وحوالى الساعة العاشرة صباحاً حضرت عربتان ملكيتان ؛ ركب فى إحداها الخديو ومهمنداره ودومرتينو باشا ، وفى الثانية عبد العزيز عزت باشا وضابط كان فى خدمة الجيش المصرى برتبة ياور للسردار للذهاب إلى مكان الاستعراض ؛ وكان سموه يرتدى بذلة فريق ونيشان الامتياز المرصع ونيشان فيكتوريا ؛ وبعد الاستعراض دعى سموه لمأدبة عائلية فى قصر بكنجهام ؛ وقد أمر الملك بعد الطعام بقهوة تركية للخديو فقدمت لسموه وصانعها مصرى فى السراى الملكية .

وفى المساء ذهب سموه لمأدبة اللورد بلفور الرسمية ، وقد شهدها كثيرون من الأمراء الانجليز ؛ وكان عن يمين رئيس الوزارة ولى العهد وعن يساره الخديو .

وبعد عودة سموه كلفنى بكتابة رسالة إلى مصطفى فهمى باشا عن رحلته فكتبتها ووقع عليها سموه بخطه ، وأرسلناها . وفيها أن الحفاوة التى لقيها من السلطان كانت حسنة ، والحفاوة التى استقبل بها فى لندره كانت أعظم سواء من الملك والأمراء ورئيس الوزارة وكبار الانجليز فى لندرة والموظفين منهم فى الحكومة المصرية .

مشاهدة معرض زراعى : وفى صباح ٢٧ منه ركبنا القطار من لندرة إلى ضاحية أقيم بها معرض زراعى ، فشاهدنا بعض نواحيه ، ثم توجهنا إلى كشك معد للملك والأسرة الملكية ، وكانت به موسيقى عسكرية حيت الخديو عند وصوله ؛ وقد وجدنا ولى العهد فى الاستقبال . وبعد الاستراحة ذهب بنا إلى مدرج ثم سرح أمامنا عدد من الثيران المعروضة من مختلف الأجناس الانجليزية ومن بينها ثور بيع بمبلغ ألف وخمسمائة جنيه . وبعد ذلك ودعنا ولى العهد وعدنا بالقطار إلى لندرة .

دعوة الأمراء للخديو : وقد لبى الجناب العالى بعد العودة ، دعوات من شقيق الملك والدوقة أوف كنوت ، والبرنسيس أوف باتنبرج أخت الملك ، ثم رد سموه الزيارة للأمراء .

الخديو فى المسرح : وبعد تناول العشاء دعانا السيرارنست كاسل لحضور إحدى الروايات فى تياترو « لاجيتيه » ، وقد بلغنا أن ثمن كل كرسى خمسة جنيهات فعجبنا لغلاء الأسعار فى هذا المسرح .

(*) الحقيقة أن يوم ٢٦ يونيو ليس يوم التولية ولكنه فى يناير ، ولما كان ذلك الشهر فى العادة شهر الأمطار والبرود والثلوج ولا يمكن عمل استعراض فيه لذلك حددوا يوم ٢٦ يونيو لهذا الاحتفال فى انجلترا فقط ، وأما فى الرسميات فالتهانى من الملوك تأتى فى اليوم الحقيقى للتولية .

مأدبة الخديو للسير إرنست كاسل : وفى مساء ٢٨ يونيو أعد الخديو فى محل نزوله مأدبة للسير إرنست كاسل وأخته وابنته وقرينها ، ودعى اليها المهمندار والدكتور سيمونسن .

فى قصر وندسور : وفى ٢٩ منه ركبنا قطاراً خاصاً إلى وندسور حيث السراى الملكية وهناك كان فى الانتظار عربتان ملكيتان كل منهما بأربعة جياد ؛ وبمجرد وصولنا وضع سموه إكليلا من الزهور على قبر الملكة فيكتوريا ؛ ثم طفنا فى السراى التى صارت متحفاً للأسلحة التاريخية ، ومما شاهدناه علم نابليون الأول وسيفه ، وعلم التعايشى ومصحف كبير من مخلفات المهدى ، وكثير من أثار الدراويش . وفى المتحف كثير من الصور الزيتية والصينى النادر ؛ وبعد إتمام الزيارة تناولنا شيئاً من المرطبات ثم ركبنا العربات إلى كنيسة السراى الملكية ، وبها مقابر بعض الأسر الملكية الانجليزية. ثم عدنا بعد ذلك إلى لندره فزار سموه وزير الخارجية ، إجابة لدعوة سابقة منه إلى مأدبة غداء ، وكان اللورد قد دعا ، إكراماً للخديو ، كثيرين من عظماء الانجليز ، وجلس سموه عن يمين الماركيزة والدوق دى بورتلاند عن يسارها ، وكان فى المدعوين السير توماس ساندرس ابن عم اللورد كرومر ، والسير واللادى رينل روود ، والسير فرانك لا سلس قنصل جنرال انجلترا فى مصر سابقاً .

وبعد الظهر قام الخديو بعدة زيارات من بينها زيارة لسفير فرنسا .

مأدبة شبه رسمية فى قصر بكنجهام : وكان من المدعوين رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، وبعض كبار الانجليز فى مصر ، وقد استقبل سموه من رجال التشريفات استقبالا فخما ، ثم استقبله ولى العهد بعد ما صدحت الموسيقى بالسلام الخديوى .

وعلى المائدة جلس الملك وعن يمينه الخديو ، ثم اللورد بلفور ؛ وعن يسار الملك الدوق أوف كنوت وأمامهم ولى العهد وعن يمينه الدوق أوف كمبردج وعن يساره الماركيز أوف لانسداون وزير الخارجية ، ثم باقى المدعوين حسب درجاتهم وفى آخر الحفلة وقف الملك والمدعوون وشرب نخب صحة الجناب العالى قائلا ما ترجمته : « إنى مسرور بوجودكم وأهتم بمصالح سموكم الشخصية ، وبصالح مصر ، وإنى آمل أن أرى سموكم بيننا فى غالب الأوقات . » ثم شرب قدحا وشرب الجميع معه ، وجلس . وقد انتظر الملك برهة منتظراً أن يرد سموه على كلمته ، ولكنه لاحظ أن سموه كان ذاهلا فتكلم مع الدوق أوف كنوت ، وهذا حادث دومرتينو باشا ، فأومأ إلى الخديو فانتبه من

غفلته ، واعترته الحيرة لأنه لم يكن ينتظر وقوع هذا المنظر ، وأخيراً وقف ورفع قدحه قائلا : « إنى أشرب فى صحة جلالة الملك . » ثم التفت اليه وتمتم بصوت خافت كلمات لم يسمعها أحد .

وقد كان الخديو فى هذه الحفلة موضع إكرام الأسرة المالكة وكبار رجال الحكومة . وبعد الانتهاء قال الملك لعبد العزيز عزت باشا : « ها أنت ذا قد سمعت دعوتى للجناب الخديوى لتكرار زيارته للندره فعليك تذكيره . » وربما كان الغرض من ذلك تشجيع سموه على قطع زياراته للاستانة والاكتفاء بزيارة العاصمة الانجليزية ، وذلك ما كان يدور بيننا بعد الحفلة .

الخديو عضو شرف فى نادى السباق : وفى ٣٠ يونيو أجاب الخديو دعوة السير إرنست كاسل للتوجه إلى نيومارككت وتمضية ليلتين فى قصره هناك ، ومشاهدة المسابقات التى ستحصل فيها ، فذهب فى صباح ذلك اليوم مع المهمندار ودومرتينو باشا والسير إرنست كاسل الى المحطة ، وركبوا قطاراً خاصاً . ولما وصل سموه توجه إلى القصر ؛ وهو واقع وسط حديقة غناء شاسعة وفيها أنواع من خضر وفاكهة نادرة المثال ومعتنى بها غاية الاعتناء ، وهناك أيضاً خيول السباق ملك السير وعددها أربعة وأربعون منها ٢١ مضمونة تنزل السباق ، ولها اسطبل بديع جداً والأمكنة التى توضع بها مؤونتها عند الأكل فى غاية النظافة .

وكان السير إرنست كاسل قد دعا كذلك جلالة الملك لضيافته والمبيت عنده هذه الليلة ، فأرسل جلالته يدعو الجناب العالى للغداء معه فى ساحة السباق ، وقد قضى جنابه فى هذه الضيافة يومين ؛ ولما عاد علمت تفاصيل هذه الرحلة ، وذلك أن سموه بعد حضور السباق اقترح جلالة الملك تعيينه عضو شرف فى النادى المسمى « جوكى كلوب » فاجتمع مجلس إدارة النادى فى الحال وقرر ذلك باجماع الآراء ؛ وكان هذا شرفا عظيما لدى كبراء الانجليز لأن هذا النادى لا يضم سوى المعروفين منهم لدى الملك وليس به من الأجانب إلا امبراطور ألمانيا . ولذلك سارع الأعضاء إلى تهنئة سموه بهذا الشرف العظيم وأبلغوه أنه فى العام المقبل سيقام سباق باسم جنابه ، فشكر لهم سموه جميل عواطفهم . وبعد انتهاء المآدب التى أقيمت قال الملك للخديو عند وداعه للعودة إلى لندره : « إنى أقول لك الى الملتقى . » وكررها ثلاثا .

الخديو وجمعية مسلمى لندره : وقد عاد الخديو إلى لندره فى ٢ يوليو وكان قد

حضر لزيارته قبل عودته الكاتب والمشرع الأشهر السيد أمير على أحد أكابر قضاة الهند وصاحب كتاب « روح الاسلام » فأسف لعدم لقاء سموه . وترك بطاقة ؛ ولما أخبرت الخديو بذلك أبدى أسفه وبعد الغداء حضر وفد من « جمعية مسلمى لندره » مؤلف من السيد على بلكرامى وزير المعارف بحيدر آباد الدكن سابقاً ، وأستاذ بعض اللغات الهندية بكلية كمبردج ، والسيد عبد الله المأمون السهروردى ، وعبد الرحيم خان من رؤساء طائفة الافريدين وغيرهم ، وقد ألقى رئيس الوفد خطبة بين يدى سموه عرفه فيها بأغراض الجمعية من اتحاد المسلمين ونشر الاسلام ورفع كلمته ؛ ثم رحب بسموه وأظهر سرور المسلمين من عنايته بالأمور الدينيـة ولا سيما بالأزهر الشريف ؛ فرد سموه عليه شاكراً ، ثم وجه أنظارهم إلى قلة عدد الطلبة الهنود بالأزهر ، وأنه عند زيارته الأخيرة له لم يجد به غير سبعة فقط ، وحثهم على إرسال أكبر عدد ممكن من الطلاب إليه .

وأشار سموه أيضاً إلى شعوره بالمشاق التى يعانيها الحجاج ، وأن أمير الحج المصرى يبذل جهده فى حماية الحجاج الهنود وغيرهم من البلاد الأخرى أسوة بالمصريين ؛ وقال سموه : « إن الحج ركن من أركان الدين الاسلامى ، وإبطال هذه الفريضة بسبب هـذه المشاق والمتـاعب يكون ضربة قاسية وخطراً كبيراً على الاسلام الخ . » وتبرع سموه للجمعية بمبلغ خمسين جنيها مصرياً ؛ وانصرف الوفد شاكراً بعد أن أهدى إلى سموه فهرساً بكلمات القرآن ، يدل المطالع على موضع كل كلمة ، وفى أى آية ومن أى سورة ، وكذلك ترجمة كتاب « تمدن العرب » لجوستاف لوبون وقد ترجمت التيمس الخطاب ورد سموه عليه .

حديثى مع السير إرنست كاسل : وقبـل السفر تحدثت الى السير كاسل معرباً عن إعجابنا بكرم ضيافته لنا ، فمنزله وعرباته ومائدته وغيرها كانت كلها ملكا لنا وكانت على خير حال ؛ وبعـد ذلك قلت له : « إننى مع احتفاظى بذكرى هـذه الضيافة أريد تذكاراً خاصاً لى ، ذلك هو إفهامى السر فى الربح من الأوراق المالية . » ففكر هنيهة ثم قال : « تشترى الأوراق عند انخفاضها وتبيعها عند ارتفاع أثمانها . » قلت : « إن هـذه هى العقبة فكيف أعلم أنها منخفضة اليوم وسترتفع غداً ، ولو علمت ذلك لاكتشفت السر بنفسى . » فضحك وقال : « هذا مرجعه إليك . » وضحكنا .

الخـديو ومستر بلنت : والشىء الوحيد الذى كدر الخديو فى لنـدره ، هو أن

المستر بلنت المعروف بصداقته للعرابيين كان قد اتصل بسموه بصلات الود فى العهد الأخير بواسطة الأستاذ الشيخ محمد عبده ؛ وقد كتب لسموه من ضيعته القريبة من لندره ؛ يرجو تشريفه بها لمشاهدة الخيول العربية التى يعنى هو بتربيتها وإنتاجها ، فأمر سموه بروستر بك باجابة ملتمسه وتحديد وقت لهذه الزيارة ؛ ولكنه لما تحادث مع السير إرنست كاسل فى هذا الموضوع أشار عليه بعدم الزيارة ، لأن مستر بلنت مكروه من الملك ، فتألم الخديو لذلك وقال فى أثناء حديثه لنا : « عجباً للانجليز ، كيف يدعون حرية الفكر ، ويحجرون علىّ فى بلادهم ! »

وفيما عدا هذا الحادث كانت زيارة لندره فاتحة عهد جديد فى صلة سموه بالانجليز.

نتائج هذه الزيارة : ويمكن تلخيص أثر زيارة الخديو للندره فيما يلى :

التعارف - فانه عرف كثيراً من الانجليز وعرفوه كذلك ؛ وقد علمت أن بلفور رئيس الوزارة أعجب بسموه ، لما هو عليه من جميل الخصال ، وأبدى إعجابه لكثيرين.

كانت الزيارة فى غاية المودة والمحبة ، وظهر من تسابق كبار الانجليز لزيارته ودعوته والاحتفال به ، أنهم يرغبون اجتذابه إليهم ، وقد كان الاحتفاء به عاماً ، حتى إن التيمس قالت فى مقالة افتتاحية : « إن العظماء قلما يستطيعون الانزواء بأنفسهم والتخلص من مراقبة العيون الناظرة إليهم ليتمتعوا بالعزلة التى كثيراً ما يتحسرون عليها ويتلهفون إليها ، ولقد تحولت زيارة الخديو المعظم الخصوصية إلى زيارة شبه رسمية ، لا ينقصها إلا ما استراح منه سموه من مشاق الرسميات التى تقتضيها هذه الزيارات ؛ ولما زار سموه بلادنا فى المرة السابقة لم يحسن استقباله فى هذه الديار كثيرة التقلب ، ونال من المرض ما أثر تأثيراً كبيراً على الحماس الذى دب فى جسم الأمة احتفاء وترحيباً بسموه . وأما فى هذه المرة فقد كان الجو صحواً بهيجاً ، وشهده سموه فى أحسن مظاهره وأرق حالاته ، وبذلك مهد له الوقوف على أحوال الأمة الانجليزية على حقيقتها ؛ وسواء أكانت زيارات جنابه رسمية أم غير رسمية فهو دائماً لدينا ضيف كريم ترحب به الأمة ؛ وربما كانت زيارة عادية كهذه أحب إلى مجموع الأمة وأقرب إلى ميول قلوبها ، لأن مثل هذه الزيارات تبرهن على ارتياح قلبى للوجود بيننا ، وتدل على الثقة أكثر مما تدل الزيارات الرسمية . »

وقد كتبت معظم الصحف كذلك ، حتى الصحف الصغيرة التى تنشر فى الأقاليم ونشر بعضها صورة سموه .

كانت العلاقات بين عباس والانجليز قد تحسنت منذ زيارته الأولى للندره ؛ وها قد وضح مقدار الحفاوة التى قوبل بها من الأمراء خاصة والشعب عامة ، والمودة التى أظهرها الملك له ، وتمنياته تكرار الزيارة فى وقت كانت سياسة السلطان قبله غير مرضية . كل ذلك زاد التحسن ، وشعر عباس بسروره بوجود الثقة بينه وبين الانجليز . فهل استمرت هذه الثقة؟(*)

الرجوع إلى باريس : وفى صباح ٣ يوليو ودعنا السير كاسل وكثيرون غيره . ثم رافقنا المهمندار حتى دوفر . وقد أرسل الخديو قبل مغادرته لانجلترا برقية يعبر بها عن شكره وعظيم امتنانه للملك . وكان قد كلف السير كاسل بمثل هذه التشكرات .

وصلنا إلى باريس فى المساء ؛ وفى اليوم التالى ذهبت مع سموه الى سراى الأليزة وتركت بطاقة باسمه ، وكذلك فى وزارة الخارجية ؛ وقد رد مسيو دلكاسيه الزيارة فى فندق بوسيت الذى نزلنا به .

عباس فى ديفون للاستشفاء . وبقينا فى باريس إلى ١٠ يوليو ؛ ثم سافرنا إلى ديفون لأخذ الحمامات حسب المعتاد .

وفى ١٢ منه جاء خطاب من عزت بك بالاستانة يقول فيه : « طلبت أمس إلى المابين بالتلغراف . فلما قابلت الباشكاتب أعطانى صورة مقالة مترجمة عن التيمس ، ومرسلة من سفارة الدولة بلندره ، عباره عن رد الخديو على خطبة وفد الجمعية الاسلامية بلندره . وقال عزت بك ولما أتممت قراءتها قال الباشكاتب : « إن جلالة السلطان يأمركم بتبليغ الخديو أسف جلالته كثيراً من الجملة المختصة بالحجاج ، مع وجود مجال أوسع للكلام فى ذلك الصدد نحو الاسلامية والاسلام ؛ وجلالته لم يقبلها قطعياً ، ويرغب معرفة ما إذا كانت هذه الجملة حقيقة صدرت من فخامته أو هى من محرر الجريدة ؛ وإن كان صحيحاً ، فما سبب ذكرها ، وما هى المشاق التى عاناها الحجاج ؟ مع أن السلطان لا يصدق صدورها من سموه فى بلاد أجنبية ، وفى وسط الأجانب . وجلالته منتظر الجواب بالتلغراف الرقمى ، ويطلب أيضاً إرسال صورة من خطاب الخديو للاطلاع عليه . » وقد أبدى الخديو استياءه لسفير الدولة فى باريس عند وجوده بها ، وطلب منه التحرير للمابين قائلا : « كيف يغضب السلطان من ذكرى لأشياء أعلمها حق العلم ؛ وأنا لا أغضب من طلب جلالته عمل شبه تحقيق معى بهذا الخصوص ؟ » فلبى السفير الطلب ، وجاء الرد بأن السلطان تناسى هذه المسألة ؛ وعلى الخديو ألا يفكر فيها .

(*) تراجع سنة ١٩٠٦

لطيفة « السمك الطازة » . وكان يصحب الخديو بديفون عادة الطبيب كاوتسكى بك . وترنيزون باشا « الميراخور » ، والسكرتير (وهو فى الغالب أنا) . وفى مرة خرجنا ، نحن الثلاثة ، بصحبة الخديو ؛ وركبنا عربة بأربعة جياد للرياضة على جبل « جورا » ، وصعدنا إلى مكان مرتفع . ومكثنا حتى جاء موعد الغداء ، فذهب ترنيزون باشا إلى مطعم هناك ، وكان هو الذى يتولى عادة إعداد قائمة الطعام . وكان يميل إلى التظاهر بالاندماج فى البيئة الشرقية ، فيتكلم بالعربية العامية ، ويتفوه بألفاظ أولاد البلد ، ويأتى ببعض حركاتهم ، كأن يتجشأ بصوت مسموع . . . الخ .

فلما ذهب للمطعم وعاد ، ذكر أصناف الأطعمة به ، وخص بالذكر السمك ، فنوه بجودته ، وقال إنه « طازة » . وقد اختار الخديو أكلة السمك ؛ ولكن ما كاد يحضر حتى تبينا أن له رائحة كريهة لطول مكثه ، فسأله الخديو « أهذا هو السمك الطازة ؟ » وهنا قال ترنيزون : « أنا ظننت يا سمو الخديو أنه أطزّ من كده ! » عندئذ أغرقنا فى الضحك على هذا الاشتقاق العجيب ، ثم سألناه : « من الذى علمك اسم التفضيل هذا ؟ » فأجاب : « أستاذى فى العربية محمود شكرى باشا ! »

مهمتى فى طاشوز . ثم بقيت فى ديفون حتى يوم ١٥ اغسطس حيث كلفنى الخديو بالسفر الى طاشوز ؛ لمعرفة حالتها وكتابة تقرير عنها بمساعدة مسيو هكسيوس مدير معمل الزيوت ، على أن أعود بعد رحلتى الى فينا حيث ألحق بسموه هناك .

وسبب ذلك أنه تم إنشاء معصرة الزيت بهذه الجزيرة بمعرفة هكسيوس بعد صعاب كثيرة ، ولكن هذا المشروع لم ينجح تماماً لعمل السلطة التركية على عرقلة أعماله ، وتحريضها الأهالى على عدم بيع محاصيلهم من الزيتون إلا بثمن مرتفع ، حتى فكر هكسيوس فى وقفه فى العام الآتى ، ليعلم الأهالى مقدار الخسارة التى تنالهم .

ونظراً لهذه الصعوبات أراد الجناب العالى استبدال مدير الوقف محمود رفعت بك بالكونت سورمانى الموظف بالديوان الخديوى ، لأنه قد يكون أقدر على تلافى الحالة . وفى أثناء استعداده للسفر لطاشوز ، جاء بلاغ من السفارة الايطالية فى الاستانة الى قنصل جنرال ايطاليا بمصر ، بمنع الكونت من السفر ؛ لأنه لو توجه فسيمنعه قنصله فى قوله . وقد كان هذا من جراء تهاون الخديو فى الاسراع بهذه المسألة ، حتى تمكنت تركيا من السعى لدى إيطاليا . وقد كان هذا سبباً فى استياء الخديو ، وتوتر العلاقات بينه وبين الاستانة ، وما ترتب عليه من توتر فى علاقة سموه بالغازى احمد مختار باشا

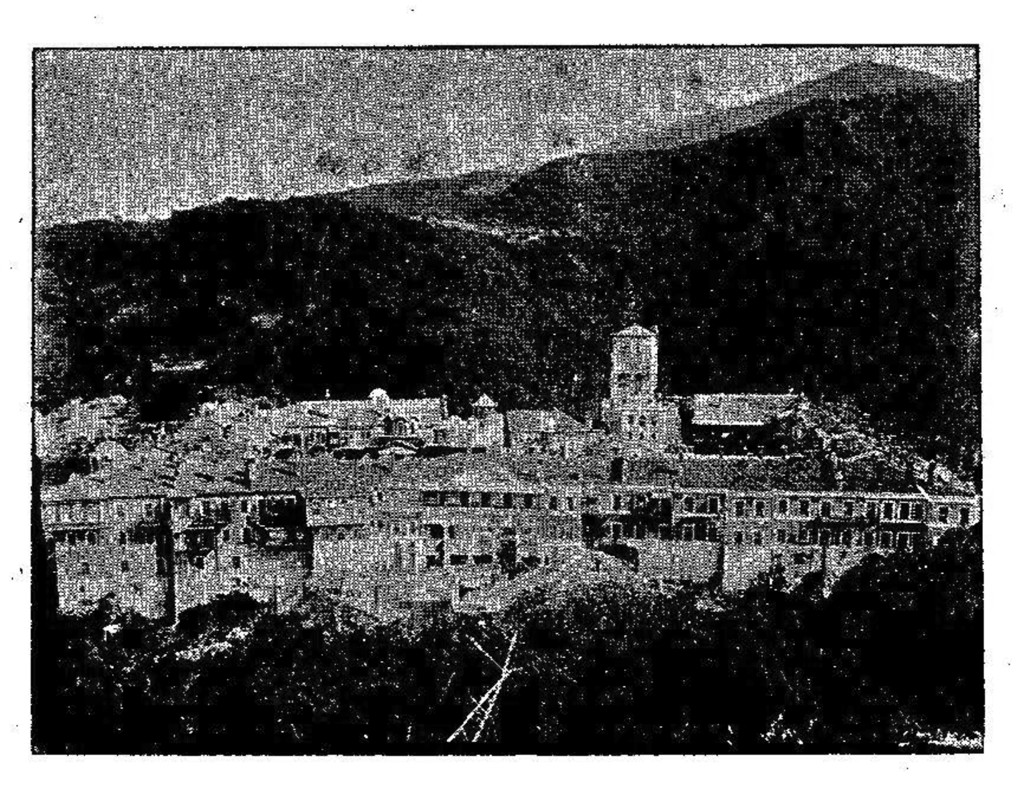
كما سبق التنويه عنه فى مسألة نجله محمود مختار باشا .

غادرت جنيف فى ٢٥ أغسطس إلى برنديزى ، ثم ركبت البحر إلى بتراس ، ومنها بالسكة الحديدية إلى بيريه حيث أقلتنى باخرة صغيرة اسمها « طاشوز » تابعة للأوقاف الخصوصية ، إلى الجزيرة . وهذه المرحلة الأخيرة من سفرى كانت شاقة جداً لأن البحر كان هائجاً وكانت الأمواج تتقاذف الباخرة حتى طغت المياه على غرفة الربان ، وخيل إلى أنى على وشك الهلاك ولا سيما أنى لم أذق الطعام مدة ٢٤ ساعة . وقد قابلت بالجزيرة مسيو هكسيوس وفى اليوم التالى لوصولى اضطررت للسفر على نفس الباخرة سالكا طريق قوله لتفقد حالة عمارة محمد على الخيرية ، وقد استغرقت هذه الرحلة أربع ساعات ذهاباً وإياباً ولكنها كانت رحلة موفقة باعثة على الارتياح .

وفى اليوم الثالث تجولت فى بعض قرى الجزيرة بصحبة مسيو هكسيوس وشاهدت معصرة الزيت ، وفى اليومين التاليين فحصت الدفاتر ، وحالة الأوقاف وهى فرصة اغتنمتها لأخلد إلى الراحة ، لأن التعب كان قد أخذ منى مأخذه ، ثم عدت فاستأنفت السفر مستقلا الباخرة ومعى مسيو هكسيوس إلى جبل أتوس الشهير المعروف باللغة التركية باسم « أيناروز » وهو فى جزيرة ليس فيها أنثى حتى الدجاجة ! ويقيم فيها جماعة من الرهبان والنساك من يونانيين وروس وصربيين وبلغاريين وغيرهم ولهم أملاك وكثير من أشجار الزيتون فى جزيرة طاشوز . ثم زرنا دير فاتوبيدى وهو أقدم أديرة جبل أتوس وأحفلها بالتحف وبه مكتبته الأثرية القديمة التى تحوى مؤلفات نفيسة بينها مؤلفات سترابون المصورة ، وهى فيما يزعم أمين المكتبة النسخ الوحيدة من نوعها . والدير واقع فى جوار الترعة التى عمد « أكسرس » إلى شقها اجتناباً للمرور بالرأس الأرضى الممتد فى الجزيرة وهو الرأس الذى تحطم عليه جانب من أسطوله ؛ ورهبان الدير يشتغلون فى الزراعة والصيد ، ويعيشون عيشة النساك ، وكثيراً ما يطرق الجزيرة زائرون من كل جهة ، وفى السجل المعد لتدوين أسماء الزائرين اسم ملك إيطاليا الحالى وفوكيه وروتشيلد وغيرهم من عظماء العالم .

وفى جبل أتوس نحو عشرين ديراً للروم والروس ، وأغلب الرهبان من الروس وهم يمتلكون أهم الأديرة وأغناها ، ويبلغ مجموعهم نحو الخمسة عشر ألف راهب .

ولما عدنا إلى طاشوز استأنفنا التجول حول الجزيرة منذ مطلع الشمس ثم تركناها وسافرنا بحراً إلى دده أغاش فوصلناها الساعة السادسة مساء ، فى جو صاف



دير ايفيرون بجبل أتوس

بديع ، وغادرناها متأخرين عن الموعد المقرر المعتاد ، وكان القطار غاصاً بالجنود والضباط والركاب غير أنى تمكنت بواسطة « البقشيش » من تدبير ديوان خاص لى ورفيقى هكسيوس ، ولاحظنا فى أثناء السفر أن الجنود قائمون على خفارة الطريق . وفى منتصف الساعة التاسعة وقف القطار فجأة فى مكان بعيد عن إحدى المحطات فسأل الركاب الكمسارى عن السبب فأجابهم بأن الحرارة التى اعترت القاطرة لثقل القطار وازدحامه تقضى بهذا الوقوف . وبينما نحن فى هذا الحديث إذا بشرذمة من الفرسان تدنو منا بسرعة ، فكانت الظلمة حالكة فلم نبصرها ولكن وقع حوافر الخيل طرق آذاننا فزاد ذلك فى رعبنا وحسبنا له ألف حساب لأننا ظننا أنهم أفراد إحدى العصابات البلغارية وكان كلما اقترب الصدى زاد قلقنا ، وما زلنا نضرب أخماساً فى أسداس حتى أبصرنا الفرسان فاذا بهم فرسان أتراك مقبلون علينا من الجبل على خيول بيضاء ، وتقدم الضابط إلى سائق القطار سائلا عن سبب وقوفه ، ثم أمر أحد الفرسان بالعودة إلى زملائه لتطمينهم وكان ذلك من بواعث التطمين للركاب فهدأ روعهم . على أن هذا الاطمئنان كان وقتياً وكان القلق الذى استحوذ علينا مقدمة لقلق آخر أشد وقعاً ، ذلك أنه ما كاد القطار يسير بنا مدة حتى عاد فوقف بنا قبل محطة قللى بورغاز ثم عاد

القهقرى إلى أوزون كوبرى ، وحينئذ دب الرعب فى القلوب مرة أخرى .

وبعد أن وقفنا نحو ثلاث ساعات وعوامل الخوف تنازعنا ، تلقينا الأمر بعدم النزول فى تلك المحطة ومتابعة السفر إلى أدرنة . ولا يخفى أن محطة قللى بورغاز ملتقى الخطوط الحديدية التى تتقابل فيها القطارات الآتية من أوربا والقادمة من الاستانة إلى أوربا أو من سلانيك ودده أغاش ، وقد أثر فينا هذا الأمر القاضى بعدم النزول فى هذه المحطة « قللى بورغاز » لركوب القطار المسافر من الاستانة إلى فينا ، فأردنا أن نستطلع جلية الأمر وبعد إلحاح شديد اضطر الكومسارى أن يصرح لنا بالحقيقة فقال : « إن بلغارياً من رجال العصابات وضع آلة جهنمية فى طريق القطار ، فانفجرت تحت مركبة الطعام ، فى محطة قللى ، فقتل رئيس الخدم وثلاثاً من النساء التركيات وثلاثة أشخاص آخرين مع عدد من الجرحى . » والذى تحققناه أن الآلة كانت قد وضعت تحت المركبة فى محطة فليبوبولى بعد أن أديرت الآلة المركبة فيها بحيث تنفجر حين وصول القطار إلى الجسر المقام على نهر ماريتزا وراء محطة قللى بورغاز فتدمره وبذلك لا يعود فى إمكان الجنود والركاب أن يعبروا الضفة الثانية من النهر .

وقد شاهدنا فى المحطة المركبة المحطمة ، وجثث القتلى وهى مغطاة بأقمشة بيضاء ،وكان المنظر محزناً للغاية . على أن تأخيرنا بسبب وقوف القطار، كان باعثاً على إحباط سعى الثوار البلغاريين الذين دبروا هذه المكيدة . وكان رحمة وسلاماً إذ لولاه لرحنا ضحية تلك الجريمة !

وتأخر القطار بنا ثلاث ساعات ولذلك لما وصلنا إلى صوفيا كان القطار البلغارى غادر المحطة إلى فينا فقضينا هناك أربعا وعشرين ساعة ، وأخيراً وصلنا عاصمة النمسا بخير وأخبرنا الخديو بكل ما تقدم وأطلعته على تقرير مفصل لرحلتى . وسلمته بعد رجوعنا لمصر إلى أحمد خيرى باشا .

فمن ذلك كانت رحلتى هذه شاقة حافلة بالمتاعب والأخطار . والغريب أنى لما ركبت القطار فى دده أغاش حدثتنى نفسى بأن حادثاً ينتظرنى فى الطريق وخطر لى أن أعهد إلى مسيو هكسيوس فى إيصال أوراقى المحفوظة فى حقيبتى إلى المنزل ، وقد وقع هذا الحادث فعلا ولكنه وقع فى قطار آخر . ومن المصادفات الغريبة أنه فى أثناء سفرى من جزيرة طاشوز رأيت طائفة من الدرافيل تسابق الباخرة وتداعبها ودنا منى أحد سكان الجزيرة وأنا أنظر إلى هذه الدرافيل وقال : « إن هذا فأل حسن . »وفى الواقع إنه كان مضيباً .

وقد نشرت جريدة « جورنال دى جنيف » فى عدد ٢ سبتمبر نبأ هذه الرحلة فى رسالة ضافية بقلم المسيو هكسيوس لا تختلف عما تقدم .

العودة الى الاستانة . وقد بقينا فى فينا حتى يوم ١١ سبتمبر ثم غادرناها على قطار السكة الحديدية الرومانية إلى ثغر قسطنجة على البحر الأسود ومنها بالبحر للاستانة فوصلناها يوم ١٤ منه . ولما ألقت الباخرة مراسيها أمام جبوقلى كان فى الانتظار المشير شاكر باشا واللواء حسنى باشا وضابط من الياوران ، يحملون تحية السلطان . ثم ركبنا الزورق رهبر إلى ضولمه بغجة ، ومن هناك أقلتنا العربات إلى سراى يلدز ، فحضرنا مأدبة شاهانية . وبعد الغداء دخل الخديو عند السلطان وظل معه نصف ساعة حدثه فيها جلالته عن ثورة حدثت فى بلاد البلغار ، وعن إشاعات خلاصتها أن الثوار سينشرون الطاعون فى أنحاء تركيا بواسطة عشرين زجاجة من باسيل الطاعون ؛ وكذلك كان جلالته متخوفاً من أن يسمموا مياه الاستانة المعدة للشرب ! ! وبعد انتهاء الزيارة ذهبنا للسلام على الوالدة ثم عدنا إلى جبوقلى .

خطأ ينيل رتبة : وفى ٢٠ سبتمبر جاءنى اللواء حسنى باشا متألماً ، وقص علىّ حكاية غريبة ملخصها أنه دعى للمابين ببرقية أرسلت إليه بعنوان « الفريق حسنى باشا » ، وكان يترقب الانعام عليه بهذه الرتبة الكبيرة . فظن أنه أنعم بها عليه فعلا ، وأذاع ذلك بين إخوانه فرحاً مسروراً . ولكنه لما ذهب إلى المابين ليقدم شكره على هذا الانعام أخبره الباشكاتب أن هناك خطأ فقط وقع من كاتب البرقية ؛ وأنه لذلك حائر متألم لا يدرى ماذا يصنع ، وكيف يدارى خجله أمام أصدقائه الذين أخبرهم بالنبأ ، وهم كثيرون !

فأبلغت ذلك للخديو ، وانتهز سموه فرصة وجوده مع السلطان فى اليوم التالى لتناول طعام الغداء على المائدة السلطانية ، وذكر له الواقعة ملتمساً الانعام بهذه الرتبة على الرجل ، فصدرت الارادة السلطانية فى الحال بهذا الانعام ! !

العود الى مصر . وقد بقينا فى الاستانة حتى ٢٨ سبتمبر ، ثم غادرناها بعد مأدبة وداع فى يلدز يوم ٢٧ منه قاصدين الاسكندرية فوصلناها يوم ٢ اكتوبر . واستقبل الخديو فيها كالمعتاد .

الشيخ على يوسف فى لندره وباريس . كان الشيخ على يوسف من

المنتمين للسراى ، فانتهز فرصة زيارة الخديو للندره وسافر اليها ليتتبع أخبار هذه الزيارة كيما ينشرها فى المؤيد ، ثم بارحها الى باريس وتقابل مع بعض السياسيين فيها ، وتكلم معهم بخصوص المسألة المصرية ، كما سيجىء ، ثم أرسل الينا من لندره فى ٥ يوليو خطابا يقول فيه : « كانت مأدبة المستر موزلى — وقد كان قاضياً بمصر — فى « نيو سان استيفان كلوب » ، وهو كلوب المحافظين ، مساء أمس وأجاب الدعوة اثنان وعشرون شخصاً بينهم عضوان فى البرلمان ومديرو جرائد استاندرد والديلى تلغراف والديلى نيوز وغيرهم من الكتاب والأعيان ، ومع أنى كنت سمعت من المستر موزلى نفسه أنه لا خطب ولا كلام بل حفلة تعارف وسمر بسيط ، فقد جر الطعام إلى المدام ، والمدام إلى الكلام ، وانتهى الأمر بالقوم أن كانوا فى حلبة خطابة فخطب منهم سبعة منهم عضوا البرلمان ، وأصحاب الجرائد الثلاثة وشخص اسمه المستر ديسى مؤلف كتاب « الخديو فى مصر » والمستر موزلى واضطررت أن أتكلم أيضاً . وكان مدار الخطب كلها مظاهرة للجناب العالى الذى شربوا نخبه مراراً ، وحيوه مراراً بكلمة « هورّا » » .

وأضاف إلى ذلك أنه رد عليهم بالشكر ، وبسط القضية المصرية ، وما للخديو من منزلة بين أمته .

ووردت لنا منه أيضاً رسالة من باريس يصف فيها احتفاء الصحفيين الفرنسيين به ؛ وما تبادلوه من الأحاديث بخصوص مصر وسياسة فرنسا .

ثم أرسل لنا رسالة أخرى جاء فيها : « سيذهب وفد من مجلس النواب الفرنسى إلى لندره ليجتمع مع مندوبين من برلمان انجلترا للمفاوضة فى المسائل المختلف عليها بين الدولتين ، وقد طلبت مقابلة مسيو اتيين وكيل مجلس النواب الفرنسى بواسطة دولونكل لأعرف منه إن كانت مسألة مصر من جملة المسائل التى يجرى الكلام فيها أم لا ، وقد كتبت لصاحب لى فى انجلترا ليعرف شيئاً من ذلك أيضاً حتى إذا كان هناك قسط من الكلام لمصر عدت إلى لندره لاعرف ما يمكننى الوقوف عليه من أسرار المخابرات فى شأن مصر خصوصاً إذا كان من أعضاء البرلمان ، الذين نعرفهم ، من يكون فى اللجنة المخصصة لذلك ولعل هذا هو السبب فى كثرة الأسئلة التى تتوارد علىّ من لندره فى المواضيع المصرية . »

وكتب لنا بعد ذلك ما يأتى : « عاد النواب الفرنسيون ، وقد قابلت دولونكل وهو منتفخ بالآمال الكبار ، ويقول إن المسألة المصرية لابد أن تعرض أول المسائل

على مجلس التحكيم الذى يراد عقده ، وقد كان فى المأدبة البرلمانية على يسار المستر تشمبرلن وعلى يمين السير شارل ديلك وتكلم مع الاثنين فى المسألة ؛ ومن رأيه أن تشمبرلن لا يبقى طويلا بل الوزارة كلها ستغير وتأتى وزارة الأحرار ، ولما خطب قال لابد من عرض المسألة المصرية فى مقدمة المسائل ولكنه لم يرد أن يتعمق معى فى الكلام حتى يعرض ما لديه رأساً على الجناب العالى ، وهو مسافر غداً إلى البلدة التى بها مسيو اتيين وكيل مجلس النواب وبعد مقابلته يتوجه إلى ديفون ، وربما اقتضى الحال تأخير سفره إلى يوم الخميس أو الجمعة التاليين . »

هدية الخديو لملجأ اللقطاء . تفضل سمو الخديو فمنح ملجأ اللقطاء الذى أسسته جمعية مكارم الأخلاق بالاسكندرية مبلغ ألفين وثمانمائة جنيه تصرف له كل عام . وقد حضر للسراى وفد مكون من المحافظ بصفته رئيس شرف الجمعية ، وقاضى الثغر ومحمد بك سعيد رئيس جمعية العروة الوثقى ، والشيخ عبد الفتاح شريف رئيس جمعية مكارم الأخلاق وعبد القادر الغريانى بك وخليل بك حماده وكيلاها لشكر الخديو على هبته .

وقد افتتح هذا الملجأ يوم ٢١ اكتوبر وكنت ممن رافقوا سموه وبعد الاحتفال رسمياً تفقد جنابه غرف الملجأ ، وسأل عن نظمه وأوصى القائمين بأمره بزيادة العناية بأمر هؤلاء البؤساء الأبرياء .

الزبرجد فى البحر الاحمر . أخذ الخديو بعد عودته من الاستانة يعنى بمسألة استخراج الزبرجد من جزيرة الزبرجد بالبحر الأحمر ، بعد ما انتهى أمر طاشوز إلى انتزاعها من الادارة الخديوية .

وقد كلفنى أن أخاطب مسيو هكسيوس فى الموضوع ليوافينا بأخبار استخراج الزبرجد وبيعه ، وقد جاء الرد منه يوم ٥ نوفمبر أنه قد وصلته أنباء من باريس ولندره بأن تجار الزبرجد غير مرتاحين إلى أثمانه لكثرة ما يعرض منه عليهم من جهات مختلفة وبأثمان رخيصة ويقول فى بيانه بأنه لا بد أن يكون هذا الزبرجد مسروقاً .

وبوصول هذا الرد اهتم الخديو بالأمر ، وبعث محمد سعيد بك رئيس نيابة الاسكندرية إلى الجزيرة لتحقيق الأمر ، فقام ، وبعد رجوعه قرر أن نصف الزبرجد قد امتدت اليه أيدى السارقين وأنه قبض على من اشتبه فيهم ، وقد أبلغنى الخديو بعدئذ

أن هكسيوس يسعى لدى شركة انجليزية لشراء امتياز الزبرجد بهذه الجزيرة بخمسين ألف جنيه .

شقيقة ملك الانجليز فى مصر وكبار الزوار الأجانب . فى ٢٣ ديسمبر وصلت إلى القاهرة البرنسيس دى باتنبرج شقيقة ملك الانجليز ، فاستقبلها على المحطة من قبل الخديو البرنس محمد على باشا وكذلك اللورد كرومر وقنصل جنرال ألمانيا ، ونزلت فى فندق الجزيرة .

وفى اليوم التالى لوصولها زارها عباس فى الفندق . وكانت هذه البرنسيس قد أقامت مأدبة للجناب العالى عند وجوده بلندره كما ذكر ، وقد أدب لها سموه يوم ٢٨ مأدبة فخمة فى سراى عابدين ، حضرها اللورد كرومر والنظار والمستشاران ، ورؤساء المعية ، واستمرت الحفلة حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

وبعدئذ حضر الدوق أوف كنوت وقرينته واللورد تشمبرلن عند مروره ببور سعيد أثناء سفره إلى الكاب وقد جاء إلى العاصمة وزار الخديو وشاهد الخزان .

وزار مصر ولى عهد ألمانيا وشقيقه بصفة غير رسمية ، وقد مرضا ولكن لم يمنعهما المرض من مشاهدة بعض الآثار المصرية ، خصوصاً آثار الأقصر ثم رؤية خزان أسوان .

وقد قدم إليهما الجناب العالى إحدى سفن الركائب الخديوية لهذا الغرض ، وأعد لهما مأدبة عشاء فى عابدين ورافقهما إلى زيارة القناطر الخيرية ، فتركا مصر شاكرين ، وتبادل الخديو مع والدهما البرقيات بخصوصهما ، وأظهر ابتهاجه بهذه الزيارة التى عوضت ما كان ينويه الأمبراطور من زيارة مصر فى السابق ، فجاء الرد منه لطيفاً ، وأنعم على بعض الحاشية بنياشين .

وكذلك حضر الدوق دوساكس فأولم له الخديو وليمة غداء فى عابدين ، وكنت من ضمن المدعوين وقدمنى سموه إليه كباقى أفراد الحاشية التى حضرت الوليمة ، ولذا أنعم علىّ بنيشان فيليب من الدرجة الثانية .

وزار مصر أيضاً الأرشيدوق فرانسوا فرديناند ولى عهد النمسا (*) بصفة غير رسمية ، وبينه وبين الخديو مودة عظيمة ، فرحب به سموه وخصص له يختاً لزيارة الآثار القديمة

(*) وهو الذى قتل فى البوسنة وكان قتله سبباً فى نشوب الحرب العظمى .

فى الصعيد، وتنزه معه نزهة بديعة فى القناطر الخيرية، وتغدى معه فى القبة وكانت تصحبه قرينته . وملكة البرتغال ونجلها ولى العهد وقد زارا الصعيد على وابور خديوى . زارها الخديو فى فندق سافوى ، فاستقبلت سموه عند مدخل الفندق وبعدئذ ردت له الزيارة فى سراى عابدين ، وزارت والدته وكذلك الحرم . وأعدت لهما وليمة فاخرة فى سراى عابدين . وبعدئذ توجهن معاً إلى الأوبرا ؛ ولما سافرت الملكة ونجلها ودعها الجناب العالى على المحطة ؛ ولما عادت إلى مملكتها أبدت شكرها وممنونيتها ، وأعلنت ذلك فى جريدة اللواء ، فان صاحبه زارها وتكلم معها ، وكتب خلاصة الحديث بعد استئذانها ؛ ومن حوادثها فى مصر أنها حضرت الليلة التى أقامها صالح باشا ثابت فى منزله بجوار نزل سافوى لمناسبة زفاف ابنته ، فدخلت الحريم ورأت العروس وتكلمت معها ، ثم خرجت وجلست مع ابنها بين المدعوين من الرجال وافتتحت المقصف .

افتتاح دار الآثار العربية . فى صباح ٢٩ ديسمبر كان احتفال ديوان الأوقاف بافتتاح دار الآثار العربية فى ميدان باب الخلق، وقد حضره البرنس محمد على باشا والبرنس فؤاد باشا ، والغازى مختار باشا ورياض باشا والنظار واللورد كرومر وقناصل الدول الجنرالية ، والشيخ حسونة النواوى والسيد عبد الخالق السادات والسيد محمد توفيق البكرى والشيخ محمد عبده ، وكثير من أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وأصحاب الصحف ، وعدد عظيم من الأعيان الأجانب مع قريناتهم .

واجتمع المدعوون فى سرادق فخم مواجه للدار فى انتظار الخديو ، فلما قدم حياه المنتظرون وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى . وبعد أن استقر به المقام ألقى عبد الحليم عاصم باشا مدير عموم الأوقاف خطبة الافتتاح . والتمس من الجناب العالى فتح الدار . وقد رد سموه عليه بخطبة قصيرة جاء فيها : « إذا كان لمصر أن تفتخر ببقايا أول مدنية قامت فى العالم ، فمن حقها كذلك أن تتباهى بالجانب العظيم الذى وصل إليها من مدنية العرب وحضارتهم . »

ثم تقدم سموه فدخل الدار وكان هذا إعلاناً بافتتاحها رسمياً ، ثم تفقد حجرها وخلفه المدعوون حتى انتهى وسر بنظامها . ثم عدنا مع سموه للسرادق فتناولنا شيئاً مما فى المقصف الفاخر الذى أعده الديوان ، وبذلك انتهى الاحتفال .

مسألة صندوق التوفير . كاد هذا العام ينقضى على وفاق بين الخديو والإنجليز ،

ولكن حدث فى ديسمبر خلاف جديد بين الخديو واللورد كرومر على مسألة صناديق التوفير بالبوسته (*).

ذلك أن اللورد أوعز إلى النظار أن يهيئوا مشروعا أوسع من مشروع الصندوق الذى كان موجوداً ، ولم يقبل الأهالى عليه لاعتقادهم مخالفته للشريعة لأنه نص على فائدة وهم يعتبرونها ربا محرما . وكان اللورد يعتقد أنه لو تم إقبال الفلاحين على إيداع أموالهم فى صناديق التوفير ، لقلت حوادث السطو والسرقات فى الأرياف وأهم أسبابها الحصول على الأموال المخزونة فى المنازل .

ولم يكن الخديو يعلم بايعاز اللورد ولا بالمشروع حتى جاء ذكره فى جلسة مجلس النظار فعارض الخديو فيه لأنه لم يستوف صيغته الشرعية ولم تستبدل كلمة « فائدة » التى هى حجر عثرة فى المشروع القديم ، فقام اللورد وقعد لهذا الاعتراض من جانب الخديو ، ولذلك رأى سموه أن يدعم موقفه بآراء العلماء من الوجهة الدينية فأحضر عدداً منهم لسراى القبة وفى مقدمتهم الشيخ محمد بخيت والسيد محمد توفيق البكرى ، ولم يكن الشيخ محمد عبده المفتى من المدعوين نظراً لسوء تفاهم بينه وبين سموه ، واستدعانى جنابه عند وجود العلماء بالسراى وانتهينا إلى تقرير المشروع الآتى :

المادة الأولى : كل من أراد أن يضع شيئاً من ماله فعليه أن يقدم طلبه على استمارة مطبوعة تشتمل على ما يأتى :

أولا — توكيل الطالب لمدير البريد توكيلا عاما باستعمال ما دفعه الطالب فى أنواع التجارة الجائزة شرعا .

ثانياً — إذن الطالب لمن يكون مديراً عاماً للبريد بأن يخلط ماله المدفوع منه بمال غيره من المشتركين .

ثالثاً — قبول الطالب الاشتراك مع باقى أرباب الأموال المدفوعة فى الربح بقدر ما يقابل ما دفعه .

المادة الثانية : لكل واحد من أرباب الأموال المذكورة أن يسترد ما دفعه ويطالب بما خصه من الربح عند انتهاء السنة وتسوية حساب الربح بنسبة مقادير الأموال وعلى مدير البريد إجابة طلبه .

المادة الثالثة : بخصوص ضم الربح على رأس المال .

(*) صندوق التوفير أنشئ فى أول يناير سنة ١٩٠٠

المادة الرابعة : فى حالة وفاة أحد من أرباب الأموال فلورثته الحق فيما دفعه أو تجديد الاشتراك .

المادة الخامسة : تكون جميع الأموال المودعة بالصندوق تحت مراقبة الحكومة المصرية وحفظها .

ولما كان الخديو فى يوم هذا الاجتماع على أهبة السفر للاسكندرية ، كلفنى أن أقدم نسخة من المشروع لمظلوم باشا وأخرى لدومرتينو باشا لتسليمها إلى اللورد كرومر ، وكلف السيد محمد توفيق البكرى أن يتفق مع محمد بيرم بك (*) القاضى بالمحاكم المختلطة ليفهم مستر بويل السكرتير الشرقى للورد بكل ما عمله الخديو . وأمرنى سموه أن أطلع قاضى مصر أولا على المشروع وأعرف رأيه وكذلك الشيخ حسونة النواوى ، حتى إذا عرض هذا المشروع على مجلس شورى القوانين — وهما عضوان به — لا يعارضانه . فذهبت للشيخين أولا . فلاحظ القاضى أن يضاف إلى جملة « فى أنواع التجارة الجائزة شرعاً » جملة « الخالية عن معاملة الربا بوجه من الوجوه » ، وقد خط هذه الزيادة بقلمه وكتب أمامها : « عن القاضى » فاستغربت فى نفسى لهذه الزيادة التى لا تأتى بشىء جديد ، أما الشيخ حسونة فقد رأى أن يغير عقد الشركة الوارد فى البند الثانى من المادة الأولى فيكون : « أشركت فلاناً صاحب هذه القسيمة مع الموكلين لى المشتركين فى صندوق التوفير . » ثم نقح بعض أشياء فى الأسلوب .

ولما أطلعت البكرى على هذه الاضافات والتنقيحات وسألته إن كان يرى ضرورة إضافة شىء آخر أجاب بالنفى ووافق على التنقيح .

وبعد ذلك توجهت بنصوص المشروع إلى مظلوم باشا فلاحظ على ما جاء منه بأن فى انتظار المودع لآخر السنة حتى يمكنه سحب شىء من ماله المودع تشديداً وصعوبة تحول دون نجاح المشروع . وقد عدت إلى العلماء وناقشتهم فى هذه الملاحظة وانتهينا إلى أن يكون النص كما يلى : « لكل واحد من أرباب الأموال المذكورة أن يسترد ما دفعه ويطالب بما خصه من الربح متى أراد . »

ولما انتهت هذه الاجراءات كتبت نسختين سلمت إحداهما لمظلوم باشا وطلبت منه أن يطلع عليها وكيل المالية المستر متشل أينس . والثانية لدومرتينو باشا ، وكان

(*) وهو من عائلة مغربية وكان أبوه من كبار العلماء ومن المقربين لكرومر .

ناظر المالية قد اقترح تحديد الفائدة باثنين ونصف فى المائة ليكون ذلك أسهل فى العمل ، ولكن العلماء لم يرتضوا ذلك .

وقد أخبرت الخديو أولا فأولا بما تم فى هذا الموضوع ، وكان يريد إنهاء المسألة قبل عودته من الاسكندرية ، وقد سألنى فى إحدى البرقيات عمن كان له الفضل فى إنهاء نصوص المشروع فأجبته بأنه الشيخ محمد بخيت .

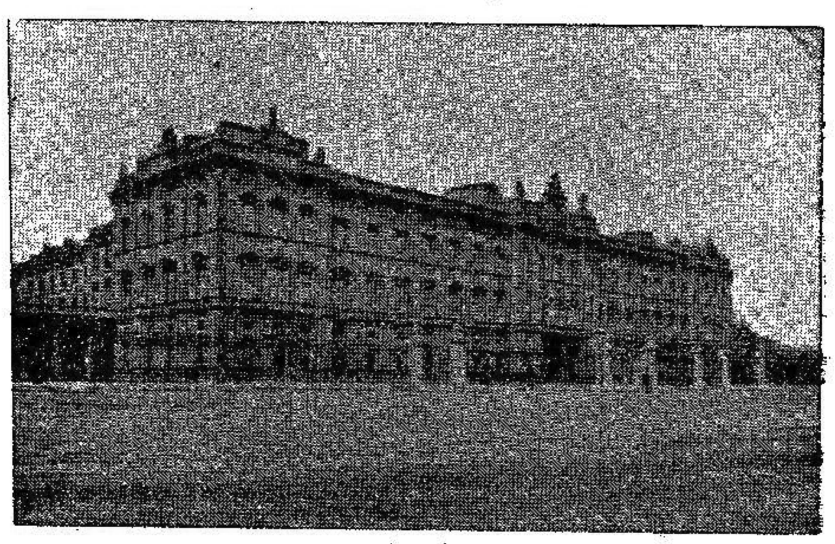
وكان سموه يرمى من وراء إيجاد النصوص الجديدة إلى إظهار أن المفتى ضعيف فى المسائل الشرعية ، لأنه أشار بابقاء النص الأصلى ، ليكون ذلك ذريعة إلى فصله كما كان يرغب سموه ، وفاته أن المفتى مؤيد من اللورد كرومر .

ولما عاد سموه زاره كرومر وحادثه بحدة فى أنه يغرقل مشاريعه . فقال له عباس إنه لم يعلم برغبته حتى يحتاط ويجعل النص موافقاً للشرع قبل عرضه على المجلس .

وقد كان ذلك سبباً فى سوء التفاهم بينهما ، لأن الخديو ظهر بمظهر المحافظ على الشرع ضد المحتلين وهو ما يتحاشونه كثيراً .



محمود باشا الداماد السابق ذكره فى سنة ١٩٠٢



قصر بكنجهام ص ١٧